

رسالة الحياة والقوة عند إقبال

THE MESSAGE OF LIFE AND STRENGTH IN IQBAL
PHILOSOPHY

Dr. Nouridine SEFI

KING FAYSAL University,
SAUDI ARABIA

الدكتور: نور الدين السافي

جامعة الملك فيصل، السعودية

sagesselog@gmail.com

Accepted:	2019/06/15	قبل للنشر:	Received:	2018/09/19	استلم:
-----------	------------	------------	-----------	------------	--------

ملخص:

في سياق مشروع إقبال الفلسفي والحضاري المعرفي والسياسي وفي سياق تفاعله الثقافي مع الفكر الغربي المعاصر والفكر الإسلامي القديم بنى إقبال تصورا جديدا للواقع الإنساني عامة والإسلامي خاصة.

وفي دراستنا هذه أسعى إلى بيان وجهي القوة في الإسلام بوصفه دين الحياة وليس دين الموات ودين الفعل وليس دين الاتكال ودين القوة وليس دين الضعف. لأجل هذا كان عنوان المداخلة رسالة الحياة والقوة أي رسالة الإسلام بما هي رسالة الحياة والقوة رسالة تربى الإنسانية على قيم الفعل والإرادة متجاوزا بذلك الحدود الضيقة التي انتهت إليها الحداثة الغربية التي عرفت هي الأخرى رسالة الحياة والقوة ولكن على نحو مغاير خال من القيم الفعلية التي تصنع الحياة ولا تدمرها. وفي هذا السياق سننظر وجوه تأثير إقبال بالفلسفة الغربية في وجهها الحداثي وصولا إلى قراءته من برغسون ونيتشة ووجوه نقده لها ليين فريدة الإسلام في رؤيته للإنسان وفضائل الحياة الفاعلة.

الكلمات المفتاحية: الحياة؛ القوة؛ التوحيد؛ العقل؛ القلب؛ الألوهية؛ الذات.

Abstract :

In the context of Iqbal philosophical, cultural, Cognitive and political in the context of his cultural interaction with contemporary Western thought and ancient Islamic thought, Iqbal built a new vision of human reality in general and Islamic in particular.

In this study, I seek to show two aspects of power in Islam as the religion of life, not the religion of death. The religion of action, not the religion of dependence, the religion of power, not the religion of weakness.

For this reason, the title of the intervention was the message of life and strength, which is the message of Islam, including what is the message of life and strength is a message, A message that educates humanity on the values of action and will beyond that narrow boundary that Western modernity ended, which also defined the message of life and strength. However, unlike the actual values that make life and do not destroy it. In this context, we will look at faces influenced by Iqbal Western philosophy in its modernist face, leading to his reading from Bergson and Nietzsche and the faces of his criticism of it. to demonstrate the uniqueness of Islam in its vision of human and the virtues of the active life.

Keywords : Life; strength; monotheism; Reason; Heart; Divinity; Self.



مقدمة:

لما يتوجه الفيلسوف بعين العقل للنظر في الواقع تتزاحم الأفكار عنده وتبنى التصورات وتقام البراهين وإذ بالأنساق تتجلى صروحا أمامنا تمدنا بالسلاح الأقوم للنظر والتحليل والنقد.

ولما يتوجه الفنان بعين الجمال للنظر في الواقع تتزاحم الأشكال والألوان والإيقاع والأنغام والأوزان والكلمات وإذ باليد ترسم أجمل اللوحات لترينا ما غاب عن العقل وخرج عن مداره وما غاب عن البرهان ومختلف القياسات وأدوات التحليل والتأسيس فيغدو الواقع أمامنا صورة حية تحاكي الواقع وتعيد بناءه من جهة وصورة حية تنسخ لنا من وحي الجمال أشعارا وصورا وأصواتا تحيط بأعمق مساكن الوجدان والإلهام.

ولما يتوجه المتصوف بعين البصيرة للنظر في الواقع يفيض الوجدان ويفنى وتنكشف له ما غاب عن جمالية الفنان وبرهان الفيلسوف وإذ به ينقل إلينا من الحالات ما تعجز عنه العبارات فيرقى في المقامات طلبا لكمال الذات فيجني في كل مقام يرقاه لذة القرب من الواجد الوجود، وعلى قدر التخلي يكون التحلي وعلى قدر التحلي يكون التجلي وتحاول العبارة نقل حالة التوحيد من قوله لا إله إلا الله إلى قوله لا إله إلا هو إلى قوله لا إله إلا أنت.

نفهم من هذا أن طلب الحق يحتاج وسائل متعددة حتى يظهر الحق المناسب للوسيلة والموافق لاستعدادات الذات والقدرات، وفوق كل ذي علم عليم.

وفي سياق آخر لما توجه الله للحديث لعبيده في نص القرآن الكريم هل كان خطابه برهانيا أم جماليا أم وجدانيا؟ أم أن هذا الخطاب خطاب آخر وصنف فريد يكشف دوما عن الوجه الذي تطلبه فيه دون أن يكشف لك عن وجوهه الأخرى فما تراه في القرآن ليس القرآن وإنما رأته ذاتك وأدواتك فيه. من هنا كان الاستماع لكلام الله رهين السامع والمتقبل وليس رهين الوحي.

في هذا السياق أريد النظر في كلام إقبال وإنجازاته فكره ووجدانه، تحليله ونقده، هدمه وبناءه، لعلنا نجتمع بين أيدينا قليلا مما تناثر في مدوناته من قوة للحجة والنظر، ومن جمال في الرسم والصورة، ومن عمق في الروح والوجدان لنعيد كتابة مشروع أقبال التجديدي الذي صاغته ذاته في وقت كان فيه العالم الإسلامي في أحلك أيامه فكرا وعلما وفي أقسى أيامه عملا وسياسة كيف لا والعالم قد اجتمع لتقسيم أرضه وتفكيك رمز سياسته وقوة خلافته. وفي زمن يكشف فيه العالم الغربي آخر ما انتهى إليه علمه الذي أحاط بكل الظواهر وانتهت إليه التكنولوجيا التي زادت الإنسان بسطة في العلم والجسم فتوجهت للنيل من جسم الأمة المريض وعقلها العليل ووجدانها المحتضر.

توجهنا لإقبال لا يرمي للتعرف على هذه الشخصية وعبقريتها التي لا تزال مضيئة إلى الآن، رغم قيمة هذه الغاية الكبرى، وإنما يرمي توجهنا إلى النظر في واقعنا الحالي وتشخيصه بعين إقبال، والبحث عن فهم له وعلاج ناجع بأدوات إقبال نفسها، وحرصتُ على أن يكون البحث لصيقا بواقع المسلمين اليوم وعيشتهم في أغلب تمظهراتهم. ومن هنا كان عنوان مداخلتنا : رسالة الحياة والقوة عند إقبال.

ستعالج هذه المداخلات العناوين التالية:

1/ رسالة المسلم

2/ طبيعة الحياة

3/ الحياة والقوة

4/ معالم النهضة البديلة.

1/ رسالة المسلم:

يرى إقبال أن المسلم حالة استثنائية في العالم إنسان يحمل وجهها آخر بإنسانية مخالفة للوجوه السائدة التي تعرف الإنسان وتتعرف عليه. ولعل هذا التميز والاختلاف يجعله محصنا من كل أنواع

التقليد والمحاكاة وكل أشكال التبعية والعبودية لأن سبب الاتباع والتقليد الايمان بما عند الآخر من تميز، والإقرار بما في عنده من فقر فتتحرك نفسه لاتخاذ الآخر قدوة ومثالا قصد تحقيق ما عند الآخر من قوة ونفوذ فتستقر في نفسه أن شرط النهضة هو التقليد، والحكمة القديمة كما عبر عنها ابن خلدون تقول بأن المغلوب مولع دوما بتقليد الغالب. ومن ثم يوجد تعارض في الماهية بين المسلم والتقليد.

وإذا كان الأمر كذلك فإن المسلم مثال للإنسان الذي يجب أن يكون وأن كينونته متحركة في اتجاه تحقيق تلك الصورة، وعلى الإنسانية أن تسير في فلكه وتدور حولها لاستلهاهم معاني الإنسانية الكلية أي المعاني التي أودعها الله في الإنسان الذي اختار الإسلام دينا له ومن أهمها قيمة الإرادة. وما دام المسلم مؤمنا بأنه الحامل لصورة الإنسانية فيه فإنه بذلك إمام حامل لأمانة الله ورسالته ولا يمكن أن يتحول إلى تابع متخل عن أمانته مهما كانت ظروف العيش السياسية والاقتصادية التي تُستعمل عادة لجر المسلمين للخضوع إلى سلطانها الاقتصادي والسياسي. وهو معنى التعبير القرآني في قوله: ﴿لَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ (البقرة 143)

فالعالم بقواه متغلب دوما بسبب امتلاكه لأدوات القوة وجبروت السطان. فما هي معاني رسالة الإسلام التي طبعت رسالة المسلم حتى جعلته صاحب الإرادة والحياة؟ يقول إقبال فيه

من القرآن قد تركوا المساعي وبالقران قد ملكوا الثريا.⁽¹⁾

كيف يكون ذلك؟

(1) إقبال: رسالة الخلود ص 24

فالدين في أكمل صورته يسمو فوق الشعر، فهو يتخطى الفرد إلى الجماعة، وفي موقفه من الحقيقة الكلية يتعارض مع عجز الإنسان وقصوره، فهو يفسح مطالبه ويستمسك بأمل لا يقل في شيء عن شهود الحق شهودا مباشرا» (لج) والذي يعبر عن هذا المعنى الشامل الكلي والعميق هو مصطلح الإيمان فالدين يقوم على الإيمان. غير أن الإيمان في فهم إقبال له لا يسكن قبالة العقل وغنما يسكن في أعماقه وجوهره فالإيمان حسب « فنحن لا نستطيع أن ننكر أن الإيمان أمر أكثر من مجرد الشعور، فهو في حقيقته يشبه رضا النفس عن علم ومعرفة، ووجود الفرق المختلفة من المتكلمين والمتصوفة في تاريخ الدين شاهد بأن الفكر عنصر جوهري من عناصره»⁽²⁾، فالفكر ركن من أركان الإيمان وعنصر من عناصره ومن ثم شرط من شروط إمكانه والشرط الثاني هو رضا النفس بما انتهت إليه من علم ومعرفة فالفكر والرضا دعامة الإيمان ولذلك لا يقدر العقل التعبير منفردا عن هذا الوضع ولا يقدر الشعر التعبير عنه أيضا. فالنص الديني نص فريد في نوعه محيط كلي في مبناه ومعناه يتجاوز أشكال القول الأخرى لأنه الوحيد الجامع للبيان والبرهان والعرفان في آياته. وما الأقوال التي يبينها الإنسان إلا بعض أبعاده وقد فكها من النص الكلي للقرآن وبسبب هذا التفكيك تعجز كل الأقوال منفردة على الإحاطة بحقيقة الآية وحقيقة الإيمان.

فحضور الفلسفة اليونانية والتصوف في الفكر الإسلامي القديم دليل على هذا المعنى الذي يجمع بين كل أصناف الفهم والتعبير، وما صراع الأقوال والمقالات عند المسلمين إلا صراع عقائد

(1) تحديد الفكر الديني ص: 7

(2) إقبال تحديد التفكير الديني ص: 7.

وليس صراع إيمان أي صراع من رضيت نفسه بوجه من وجوه القول واطمأن إليه بل وأقصى ما سواه من الأقوال التي اطمأن إليها غيره، فصراع العقائد صراع كاشف عن ضيق أفق التعبير وافق النفس التي توهمت لحضة أنها أحاطت بالآية فهما وإدراكا بينما الذي حصل حقا ليس إلا اختزالا للآية في البرهان أو العرفان أو البيان، وكل اختزال تحريف للآية مهما كانت الإحاطة ومهما كانت الحجة.

« فالتدقيق في درس القرآن الكريم وفي تمحيص مقالات المتكلمين على اختلاف مدارسهم التي نشأت ملهمة من الفكر اليوناني يكشفان عن حقيقة بارزة هي أن الفلسفة اليونانية مع أنها وسعت آفاق النظر العقلي عند مفكري الإسلام غشّت على أبصارهم في فهم القرآن»⁽¹⁾.

وما على الفكر المعاصر إن شاء إعادة فهم الإسلام من جديد إلا أن يبني محاولته على نحو مغاير « لا بد من أن يصاحب يقظة الإسلام تمحيص بروح مستقلة لنتائج الفكر الأوروبي وكشف عن المدى الذي تستطيع به النتائج التي وصلت إليها أوروبا أن تعيننا في إعادة النظر في التفكير الديني في الإسلام وعلى بنائه من جديد إن لزم الأمر»⁽²⁾.

فالفكر الأوروبي الحديث مثل الفكر اليوناني القديم يمكن أن يلعب دورا مهما في إعادة فهم الإسلام في كليته وجوهره، ذلك أن الحداثة الغربية وإن قامت على أساس القطع مع الكنيسة وسلطتها الدينية ورسم أولى ملامح العلمانية الجزئية والشاملة فإن عين هذه الحداثة ستقوم في عالم المسلمين على أساس الوصل مع القرآن والارتباط به لأن الفرق بين المسيحية والإسلام جوهري: « فكلاهما يرمي إلى توكيد روحانية النفس الإنسانية مع فارق واحد لا غير هو أن الإسلام لادراكه بين المثال والواقع

(1) إقبال . تجديد الفكر الديني ص9

(2) إقبال. تجديد ص16

من اتصال يستجيب لعالم المادة ويبيّن طريقة السيطرة عليه بغية الوصول إلى كشف أساسي لنظام واقعي للحياة»⁽¹⁾

إن حداثة العقل الغربي سلاح مهم يتماشى مع الإسلام لكون الإسلام يبني نظاما حياتيا واقعيًا، لأن العلاقة بين المثال والواقع لا تكون غلا من خلال السيطرة على عالم المادة، وهي سيطرة لا تكون إلا بأدوات مادية خالصة هي مادية العلم الحديث واساليب نظره وعمله وفعله. فالسيطرة على المادة شرط إمكان بلوغ روحانية النفس، وهنا يمكن أن نرسم ما يميز الإسلام عن غيره وهو ان الاستجابة لعالم المادة شرط أولي لتحقيق روحانية النفس وأن هذين الأمرين هما المكونان لمفهوم الحياة في الإسلام.

إن رسالة الإسلام بهذا المعنى رسالة حياة أداها العلم بما هو أداة معرفة للواقع المادي وأداة الفعل فيه، وجوهره وغايته سمو الروح ورفعته تأكيداً لمعنى إنسانية الإنسان ومهمته أي الاستخلاف.

قد كان في اليونان فلسفة وفي الرومان مدرسة وكان الملك في ساسان

لم تغن عنهم قوة أو ثروة في المال أو في العلم والعرفان

وبكل أرض سامريّ ماكر يكفي اليهود مؤونة الشيطان

والحكمة الأولى جرت وثنية في الصين أو في الهند أو طوران

نحن الذين بنور وحيك أوضحوا نهج الهدى ومعالم الإيمان⁽²⁾

(1) إقبال. (تجديد ص18.

(2) إقبال.. حديث الروح الشكوى وجواب الشكوى ص 94

بهذا المعنى يؤكد إقبال خصوصية رسالة الإسلام مقارنة مع جميع المنظومات الفكرية والعقدية الأخرى خصوصية تقوم على أساس الوحي بما هو نهج الهدى ومعلم الإيمان؟
كيف يمكن إثبات ذلك؟
2/ طبيعة الحياة:

كل فكر وخيال واعتبار ===== كل حس وشعور وأذكار

هي آلات الحياة الجاهدة ===== حين تمضي في وغاها صامدة⁽¹⁾

تلك هي حقيقة العالم أمام المسلم الذي يتخذ من الفكر والخيال والحس والشعور ادواتا يصنع بها العلم والفن والفكر وهي صناعة تزيد من قدرات الإنسان المادية والعقلية وتمكنه من السيطرة على العالم سيطرة فعلية وليس سيطرة وهمية، وهي أولى المهام التي تتجلى فيها مظاهر الاستخلاف أي الفاعلية المادية في العالم. فالسيطرة المادية فعل أول ضروري به تكون الحياة ممكنة لأنه بها يضمن الإنسان بقاءه الفردي والنوعي. وإذا كان هذا الأمر مشتركا بين الناس بقطع النظر عن انتماءاتهم الفكرية والفلسفية والدينية فإن الأمر يتخذ مسارا آخر مغايرا لما يتعلق الأمر برسالة المسلم المؤمن برسالة القرآن

إن السيطرة على العالم المادي ليست غاية في حد ذاتها رغم أنها فعل مهم وأولي لا يمكن التغافل عنه. إن الفعل المادي لا يستقيم بذاته ويبقى بحاجة إلى المعنى وإلا سقط في العبث، والمعنى ليس أمرا متصلا بأدوات الإدراك المعرفية الأولى أي العلمية من عقل وتجربة وإنما هو أمر متصل بمهمة

(1) إقبال أسرار إثبات الذات ص136

عقلية أرقى وأبعد من سياق العلم وإطاره. وفي هذا السياق يظهر الإسلام كقوة مانحة للمعنى وموجهة للحياة،

ليس قصد العلم والفن الفكرَ ===== ليس قصد المرح ألوان الزهر

إنما العلم وقاء للحياة ===== إنه للذات تقويم النجاة

للحياة العلم والفن خدم ===== للحياة العلم والفن حشم⁽¹⁾

وفي هذا تأكيد على آلية العلم وأنه ليس مطلوباً لذاته «فالعلم والفن حشم»، والعلم وقاء للحياة، والعلم تقويم النجاة، وبالتالي فالعلم ليس الفكر والتفكر، وهذا التمييز بليغ يوضح موقف إقبال من العلم وأنه موقف مغاير لموقف الوضعيين وموقف النقيدين أي موقف يؤكد على الطابع الادائي للعلم في تفسير العالم المادي وفي توفير إمكان الحياة وجعلها ممكنة لأن من واجب المسلم قرآناً السيطرة المادية على العالم وهي سيطرة يريد منها إقبال أن تكون الخطوة الأولى الضرورية التي يجب أن تصحبها وأن تعقبها قيم أخرى توجه العلم وتحكمه وتقوّمه مخالفاً في ذلك الدراسات الإيستمولوجية المعاصرة التي ترفض إخضاع العلم لأي تحكم خارجي مهما كان نوعه فالعلم ينشأ ويتجدد داخلياً وكأنه لا صلة له بالواقع الإنساني السياسي والاقتصادي والتربوي والأخلاقي وفي الوقت نفسه يتفق مع دراسات أخرى أكثر واقعية ترى في العلم الفكر الذي يعبر بامتياز عن الواقع السياسي والاقتصادي والاجتماعي وهو النقد الذي وجه لأعمال بشلار مثلاً وقدم نفسه بديلاً إيستمولوجياً آخر يربط بين العلم والواقع غير العلمي وهكذا فالعلم ليس تفكيراً موضوعياً ومنظوماً صرفاً وإنما هو حامل لنظرة لواقع الإنسان وحياته.

(1) نفس المصدر ونفس الصفحة

وبما أن العلم أداة للمعرفة والسيطرة المادية فإن الفكر الآخر أداة للسيطرة على العلم وتوجيهه. فأى فكر يريده إقبال لتكون حياة الإنسان معنى ما دام العلم ليس أهلاً لذلك رغم أهميته التي لا يمكن تجاوزها؟

يتجلى هذا الفكر في اتحاد العقل والقلب اتحاداً يجعل عملية الإدراك في أرقى إمكاناتها ويجعل الوجدان في أصفى صوره فتتعلق همة الإنسان بالمقاصد والمعاني ويتجاوز الدلالات والأفهام الأولى البدائية.

يرى إقبال أن ذات الإنسان ذات ممتلئة لأنها تسعى إلى الحق حتى تحملها لأنها ذات تعشق الكمال فمعشوقها الأكمل هو ذات الله تعالى وسعيها لا يكون إلا إليه بكل قواها الجسمية والروحية، وما دامت الذات مسكونة بالأمل حاملة للمقصد فإن سعيها سيكون منتجاً للمعنى الذي يمنح للحياة وجوداً آخر غير الوجود المادي. فقول إقبال

إنما يُبقي الحياة المقصدُ جرس في ركبها ما تقصد

وقوله:

وهو المقصود جبل الأمل إنه خيط كتاب العمل
وممات الحيّ فقدان الرجاء يُطفئ الشعلة فقدان الهواء⁽¹⁾

فحركة الحياة حركة مادية آلية لا محالة وهي حركة كل موجود جامد أو حي، غير أن حركة الإنسان تتجاوز الحركة الآلية لتكون حركتها إرادية روحية وجدانية تمنح المعنى والقيمة لتلك الحركة المادية الأولى كما تمنح المعنى والقيمة لحركة العالم كله. ويبدو من هذا أن فلسفة إقبال تنحو منحى

(1) إقبال الأسرار والرموز ص 135

فينومينولوجيا ظاهرا وصريحا لكونها تجمع أركان القول الفينومينولوجي وعلاماته وهي الذات والفكر والقصد وهذه الفينومينولوجيا فكرية بالأساس أي تكشف عن ظاهريات الروح في تأملها وتدبرها لشأن العالم الذي يبقى خاليا من أي قيمة دون الفهم البشري الذي يمنح لعالمه المعنى السامي الكلي وهو إدراك القوة الإلهية السارية في الكون والتعلق بها.

فالحياة وإن كانت بحاجة إلى الأساس المادي وما يحققه من علوم شتى ضرورية ومتطورة باستمرار فإن الحياة تبقى بلا قيمة إن بقيت سجين تلك الآلية والقوانين التي تكشفها العلوم ولم تستعملها للتحرر منها وبناء الكيان الجوهري الحق أي كيان المؤمن المتصل بالله. وهنا تظهر رؤية إقبال الفلسفية والدينية التي يريد إنشاءها في عصره أي في عصر تطور العلوم الغربية تطورا كبيرا بل إن إقبال بهذا السعي ينخرط في سياق فلسفة عالمية تشتغل وقتها وأخذت من العلم موقفا نقديا لتؤكد على أهميته ومحدودية إدراكاته ومعارفه وحاجتنا لبناء تصور فلسفي جديد يقف على أزمة العلوم الأوروبية وتعيد للعقل مكانته الكبرى في بناء المعنى ومقاصد الحياة بعيدا عن أي آلية ميتة تقتل الحياة.

وهذا هو معنى إقبال بأن العلم والفنر خدم للحياة وحشم لها. فمن توقف إدراكه على إدراكات العلوم والفنون استعبدته وانكر جوهر الحياة وحرارتها.

وهذا هو فعل الإيمان عند إقبال لأن الدين في أكمل صورته يسمو فوق الشعر، فهو يتخطى الفرد إلى الجماعة وفي موقفه من الحقيقة الكلية يتعارض مع عجز الإنسان وقصوره، فهو يفسح مطالبه، ويستمسك بأمل لا يقل في شيء عن شهود الحق شهودا مباشرا⁽¹⁾.

(1) إقبال. تحديد التفكير الديني ص7

وإذا كان العقل العلمي بما هو عقل أداتي غير قادر على تحقيق هذا الغرض فإن العقل الذي يريده إقبال يلتقي بالإيمان ويعيش داخل القلب والوجدان ويملاً الدنيا حياة ومعنى وهذا هو فعل المتصوفة دوماً لكونهم أصحاب أحوال تجاوزوا نوعياً أصحاب الأقوال. لأجل هذا «فإن أصحاب النظر العقلي من المتصوفة وغير المتصوفة في العصور الأخيرة نشغل فصلاً قيماً جداً في تاريخنا الثقافي»⁽¹⁾

3/ الحياة والقوة:

يقول إقبال:

« فدع القال إلى الحال الجليّ وأضئ بالحق ليل العمل
وكن الدرويش في زيّ الأمير ذاكر الله يقظان الضمير
واقصدنّ الحق في كلّ الفعال يسطعن فيك من الحق جلال⁽²⁾ »

وهذا القول وإن كان قريباً من قول الإمام الغزالي بأن المتصوفة أصحاب أحوال وليسوا أرباب أقوال فإن إقبال يريد أن يبحث عن تفسير مقبول عقلاً وفلسفة لهذه الحالة، فالبحوث العلمية علوم الطبيعة وعلوم النفس تحمل بذوراً مهمة لتأييد طبيعة الحياة غير الآلية أي الحياة الجوهرية. فالحال نحياها وتعبر عن جوهر التدين وعمقه الذي هو جوهر الإنسان وحقيقته لأن التدين الحقيقي هو الحياة الحقيقية للإنسان الكامل أي الإنسان الذي ارتقى في سلم الإنسان درجات عليّة. وهذا المعنى هو الذي يسيطر حركة إقبال الفلسفية والدينية والصوفية.

(1) إقبال. تحديد التفكير الديني ص 9

(2) إقبال. الأسرار والرموز ص 167

لا تحتاج الأمة إلا العمل والقصد لأن الذات العاملة القاصدة لا تكتفي بإدراك الحق بل تريد العيش فيه فالحق ندركه أولا فإن قصدناه وتعلقت هممتنا به عملا عشناه وصار عنوان حياتنا بل هو حياتنا ولا شيء غيرها. تلك هي النزعة الصوفية التي يريد إقبال.

ولا يعني إقبال بالحياة الحياة المادية وإن كانت الحياة المادية شرطا ضروريا لها وإنما هي حياة الروح التي تعبر عن جوهر الدين من جهة وعن جوهر الفلسفة من جهة أخرى، فالطاقة والذرات بما لها من خواص موجودة بذاتها فيها، تستطيع أن تفسر كل شيء حتى الحياة والفكر والإرادة والشعور. وقد زعمت نظرية الآلية وهي نظرية طبيعية بحجة أنها التفسير الشامل للطبيعة، وما زالت المعركة على أشدها في ميدان علم الأحياء بين الذين يؤيدون الآلية والذين ينكرونها.⁽¹⁾ فالدين والفلسفة يقومان على التجربة الروحية للذات المؤمنة والعاقلة ولذلك سعى إقبال على توفير ما اجتمع لديه من معارف دينية وفلسفية لبيان أحقية تصوره للحياة وصدق ما ذهب إليه، وفي سياق هذا السعي يقول: «ولنتقل إلى مستويات أخرى من مستويات التجربة: إلى الحياة والشعور»⁽²⁾ فحياة الشعور هي التي ستنبها إلى وجه آخر غير وجه حياة الآلة الجسمية لأجل هذا كان الشعور «انحرافا في الحياة تنحصر وظيفته في نقطة تهيئه نقطة مضيئة تنير السبيل لاندفاع الحياة إلى الأمام، وهو حالة توتر: حالة تركيز وانتباه، تستخدمها الحياة في حجب جميع الذكريات والارتباطات التي لا علاقة لها بالفعل الراهن... وإنكار الشعور بوصفه نشاطا قائما بذاته يكون إنكارا لحقيقة كل معرفة إذ المعرفة ليست إلا تعبيراً منظماً للشعور»⁽³⁾

(1) إقبال: تحديد التفكير الديني. ص 56

(2) نفس المرجع ص 55

(3) نفس المرجع ونفس الصفحة

اجتهد إقبال في استحضار أقوال الفلاسفة من امثال وايتهد وويليام جيمس وبرغسون لمناقشة مذهبه في الشعور والحياة وللدرد على التصور العلمي الوضعي والآلي للحياة ليلتقي في الأخير بما عرفته الفلسفة الإسلامية القديمة ومدارس علم الكلام مؤكدا على التصور الأشعري الذي يمكن استعادة بعض أطروحاته وتجاوز أخطائه لإعادة بناء تصور ديني يتناغم مع فكرة الحياة بما هي جوهر المكان والدين والزمان والتي تعبر عنها مباحث المتصوفة بمختلف مدارسهم أحسن تعبير.

وبما أن الحياة هي الجامعة للفكر والعمل والروح والمادة فإن التفسير الآلي لها تفسير محدود وعقيم لها: «وعلى هذا فالحياة ظاهرة فريدة، وفكرة الآلية غير مناسبة لتحليلها»⁽¹⁾ وهكذا ينتصر إقبال للشعور والعقل الكلي ويتجاوز كل التصورات المادية المتصلة بهما « ومن ثم فإن المعرفة الشعورية هي هذه الحالة الوجودية الممتازة التي تكون فيها على اتصال تام بالحقيقة، وتحليل هذه الحالة الممتازة قد يجعلنا على نور من المعنى الحقيقي للوجود، فما الذي اجده عندما أنعم النظر في التجربة الشعورية؟ غني على قول برغسون، انتقل من حالة نفسية إلى حالة نفسية أخرى. أحسّ بالحرارة أو البرودة، واشعر اني فرح او حزين أعمل أو لا أعمل شيئا»⁽²⁾

(1) نفس المرجع ص 59 . وفي هذا السياق يذكر إقبال قولاً آخر يؤكد فيه المعنى نفسه: «إذا كان العقل ثمة من ثمرات التطور فإن تصور الطبيعة واصل الحياة تصور آلي يكون سخيلاً. من أوله إلى آخره، وينبغي أن يعدل المبدأ الذي اصطنعه العلم تعديلاً يتنا. ويكفي ان نذكر الأمر لبين ما فيه من تناقض، كيف يمكن للعقل وهو حال لإدراك الحقيقة أن يكون هو نفسه تطوراً لشيء لا يوجد إلا باعتباره تجريداً لحال الإدراك هذه وهي العقل؟ وإذا كان العقل تطوراً من تطورات الحياة، فمعنى الحياة التي يستطيع أن تطور العقل بوصفه حالاً خاصة لإدراك الحقيقة يجب أن يكون معنى لقوة أكثر تحقّقاً في الخارج من أي حركة آلية مجردة يمكن أن يستحضرها العقل بتحليل مادته المفكرة» ص 59.

(2) نفس المرجع ونفس الصحة.

إذا كان الأمر على هذا النحو فإن التعامل مع الحياة يتجاوز الوجود المادي وما تعلق به من غرائز وانفعالات لأنها قوى فانية ومنتھية للضرورة ولا تحدث الإشبع الفعلي الذي يحرك الإنسان خطوة نحو سموه ورفيقه. إن التعامل مع الحياة سيكون بصورة جوهرية تسمح بإدراك الله في كل صفحاتها ومظاهرها « فالله هو الكل » ولا سبيل للتصال به أي الاتصال بالوجود إلا الاتصال المباشر أو المعرفة المباشرة المنبعثة من داخلية النفس من الناحية العالمة للحياة، فالبداهة تكشف عن الحياة بوصفها ذاتا مركزة⁽¹⁾ وسيكون الدين هو المحقق الفعلي لهذه الغاية القصوة والحقيقية. «أما الدين فيهدف إلى اتصال بالحقيقة أقرب واثق، فالفلسفة نظريات أما الدين فتجربة حية ومشاركة واتصال وثيق. وينبغي على الفكر لكي يحقق هذا الاتصال أن يسمو فوق ذاته. وان يجد كماله في حال من أحوال العقل يسميها الدين الصلاة، والصلاة لفظ من آخر ما انعرجت به شفتا نبي الإسلام عند وفاته»⁽²⁾

فالدين إذن جامع للنظر والعمل من جهة وقائم على العمل المغذي للنظر. والدين الجامع وهو الإسلام هو الضامن لتحقيق جوهر ما في الإنسان ليلتقي لجوهر ما في الحياة. ولا يمكن للفلسفة والعلم أن يآخذوا مكان الدين مهما بلغا من قوة في النظر والتفسير من جهة ومن قوة في الفعل والسيطرة والعمل. فروح القرآن معارضة للفلسفة القديمة حسب إقبال رغم أنه يرى ان ما وصلت إليه الأشعرية في بعض اجتهاداتها موفق إلى حد كبير يسمح للإنسان المعاصر تحقيق ما يريد تحقيقه ليعيش حياته

(1) نفس المرجع ص72

(2) نفس المرجع ص72.

الكلية. «ولقد أصبح واجبا على علماء الإسلام فيما يقبل من الأيام أن يعيدوا بناء هذه النظرية العقلية البحتة وان يحكموا الصلات بينها وبين العلم الحديث الذي يظهر لنا أنه متجه الاتجاه نفسه»⁽¹⁾ وبهذا يضع إقبال ملامح تصوره التجديدي الذي سيكون فيه الدين محركه والحياة محلا له. وبهذا التصور يبشر بنهضة جديدة فما هي أبرز ملامحها وعناصرها.

4/ معالم النهضة البديلة

يعبر إقبال عن معنى الحقيقة عنده بقوله: «أمرنا واحدا يبدو لي مؤكدا، ذلك أن ما هو حقيقي على وجه الدقة إنما هو الذي يشعر بحقيقة نفسه شعورا مباشرا. ودرجة الحقيقة تتفاوت بتفاوت الشعور بالذاتية»⁽²⁾. هذا التصور للحقيقة بما هي شعور وبما هي ذاتية وجهة موقف إقبال من كيفية بناء مشروع تجديدي للفكر الإسلامي، وهو مشروع اتخذ من التفكير موضوعا له لأن تجديد الفكر يكون من خلال تجديد التفكير نفسه لأن الفكر ليس إلا نتاجا له. وإذا كان التفكير هو موضوع التأمل والبحث لتجديده فإن القرآن سيكون الفضاء الذي ستتحرك داخله عمليات التفكير نفسها مسخرا لهذا العمل كل ما توفر لديه من علوم ومعارف فلسفية وعلمية ودينية قديمة ومعاصرة. فالمشروع في كليته فلسفي الطراز والخطاب صوفي الممارسة والوجدان « وفي الحق إن الدين نظرا لوظيفته أشد حاجة حتى من المبادئ العلمية المسلمة إلى أساس عقلي لمبادئه الأساسية»⁽³⁾، وهذا يعني أن عصور الإيمان هي عصور النظر العقلي حسب عبارة وايتهد التي ذكرها إقبال ليؤكد بأن للفلسفة حق الحكم على

(1) نفس المرجع ص 89

(2) تجديد التفكير الديني ص 91

(3) نفس المرجع ص. 8

الدين⁽¹⁾ والتفكير في مسائله وقضاياها ولقد نجحت الفلسفة حقا في تاريخها لما قدمت أمثلة كبرى جعلت الفلسفة عبادة لله بطريق مغاير يتمثل في إعمال الفكر والعقل وهو ما جعل إقبال يعبر بإعجاب عن تجربة الفيلسوف الألماني كانط الذي ضيق من مجال الفلسفة ليضع مجالا للدين. فالدين يأمر بالتدبر وهذا هو فعل الفلسفة بامتياز.

ما هي غايات هذا التدبر؟ يجيب إقبال بان فعل التدبر والتفكير يجب أن يكون في اتجاه تعميق الإحساس بالحياة، فالدين رسالة حياة للإنسان ومن ثم فإن كل ما يخدم هذا الاتجاه فهو من جوهر الدين ولا يتعارض معه. ولكن أي حياة يحدثنا عنها إقبال؟ إنها حياة الإنسان الأعلى أو الكامل أي الحامل للرسالة والنائب عن الله في الأرض أي الإنسان الأقوى أو الذي اجتمعت عنده أسباب القوة كلها. وقد استعان إقبال بتصورين فلسفيين عاصراه جيدا وعبرا عن الرؤية نفسها ونعني بهذا فلسفة الفيلسوف الألماني نيشة والفيلسوف الفرنسي برغسون. فهذان الرجلان اتفقا على هاتين الغايتين الحياة والقوة. فالحياة والقوة هم المفهومان المحركان للتفكير الإنساني وخاصة في نقد هذين الرجلين للحدائث الغربية التي غالت في اتخاذ العقل أداة مادية باتت عاجزة عن تناول المسائل الكبرى في الوجود فالعقل أضحى صنما استحوذ عليه العلم الأداتي والعلمي الوضعي وأضحى الإنسان آلة خالية من كل قيمة استعبدته الحقائق العلمية وكأنها حقائق مطلقة كلية تحيط بالوجود في كليته بينما الأمر في حقيقته مخالف لذلك، فقد أثبتت فلسفة العلم نسبية العقل العلمي ونسبية حقيقته وعجزه عن تناول المسائل الإنسانية الكبرى بما في ذلك العلوم البيولوجية والنفسية التي تعاضدت لتؤكد آلية الإنسان الذي فقد

(1) يقول إقبال في نفس المرجع ص 92: «يجب على الفلسفة عند تقديرها للدين أن تعترف بوضعه الأساسي ولا مناص لها عن التسليم بأن له شأنًا جوهريًا في التأليف بين ذلك كله تأليفاً يقوم على التفكير»

إنسانيته. لقد ثارت فلسفة برغسون على هذه الآلية المغالية فنقد تصور الحداثيين للعقل وعجزهم عن الإحاطة به معترفا بقيمة الفكر العلمي ولكن ضمن حدوده التي لا يمكن تجاوزها وبالتالي لا يمكن أن يدعي احتكار الحق لأنه أبعد ما يكون عن الحق. فالحق مسألة أخرى غير ما قدمه العلم للإنسان. وهذا يستدعي التأمل في الإنسان وقواه أكثر ونقد كل القوى التي ضيقت قدراته وحاصرتة وحكمت عليه بالعجز وهذا يعني إن إعادة إحياء التفكير الفلسفي نفسه واسترجاع ملكة النقد التي هي جوهر التفلسف شرط أول لكل تجديد ديني، وهو عين ما أنجزه إقبال في كتابه تجديد التفكير الديني حيث عرض أفكار الفلاسفة وناقشهم واستعملهم وعارضهم وأعاد النظر في مسائلهم ليجمع لديه في الأخير عدد من الأفكار والمفاهيم والمناهج التي ستجعل إعادة قراءته للقرآن ممكنة وتجعل عملية التجديد وبناء المشروع أمرا ممكنا أيضا لإعادة النظر في قوى الإنسان أمر مهم لمعرفة ما سواه فمن عرف نفسه عرف ربه والوجود يبقى السؤال الأهم في الفلسفة والدين وتبقى الحياة هي أفضل تعبير عن سؤال الوجود لأنها هي التي ستجسم رؤيته الوجودية على نحو عملي فالعقل والدين عقيدة والدين سلوكا وعملا أسلحة مهمة للحياة تجعل الإنسان ذاكرة بعقله وقلبه أي في حالة صلاة لا تنقطع.

لأريته زردشته وإلهي

«لو أن نيتشة جاءني بحماسة

بدمي ولم اسمع هن جوابا

صرخات وجدي في الصباح تلطخت

لأكون من قتلى الصباح عقابا»⁽¹⁾

رباه أي جريمة قارفتها

هكذا عبر إقبال عن ذاته مستحضرا الفيلسوف الألماني نيتشة أحد أبرز الفلاسفة الذين ثاروا

ضد أشكال الصنمية الكنسية من جهة والعلمية من جهة أخرى بل والعقلية أيضا أي العقل الأداتي

(1) إقبال. جناح جبريل ص 449

الذي صار خاضعا لسلطان إنتاجاته بعدما كان متحررا منها. لقد كشف إقبال على صورة نيتشة الحقيقية أي الصورة المخالفة لصورته الشائعة الصورة الملحدة الثائرة على الدين والإله والقيم. غن نيتشة الشائع عند الفلاسفة صورة السوبرمان أو الإنسان الأعلى المريد التقدير المتمرد على كل أشكال السلطة التي تدمر الإنسان وتستعبده لأجل هذا لم يكشف محبو نيتشة وأتباعه صورته الثانية التي خصّها للإسلام حبا له واعتراف بقدره وقيمه فنييتشة السالب فجده جنب نيتشة الموجب في كتابه الدجال الذي خصّه لنقد المسيحية والإنجيل بل والمسيح نفسه أي المسيح الذي يتحدث عنه الإنجيليون. لقد وقف هذا الفيلسوف مشدوها امام عظمة الإسلام قائلا في كتابه الدجال أو ضد المسيح: «⁽¹⁾ أقولا تشيد بعظمة

(1) نص من أهم نصوص نيتشة من كتابه L'ANTÉCHRIST الدجال، أو ضد المسيح يوجد ضمن الجزء الثامن من أعماله الكاملة (غاليمار، 1974، ص 231 - 232)، «لقد حرمتنا المسيحية من حصاد الثقافة القديمة، وبعد ذلك حرمتنا أيضاً من حصاد الثقافة الإسلامية. إن حضارة إسبانيا العربية، القريبة منا حقاً، المتحدثة إلى حواسنا وذائقتنا أكثر من روما واليونان، قد كانت عرضة لدوس الأقدام (وأوثر ألا أنظر في أيّ أقدام!) - لماذا؟ لأن تلك الحضارة استمدت نورها من غرائز أرستقراطية، غرائز فحولية، ولأنها تقول نعم للحياة، إضافة إلى طرائق الرقة العذبة للحياة العربية.. لقد حارب الصليبيون من بعد عالماً كان من الأخرى بهم أن ينحنوا أمامه في التراب - عالم حضارة إذا قارنا بها حتى قرننا التاسع عشر فإن هذا الأخير قد يظهر فقيراً ومتخلفاً! لقد كانوا يحملون بالغنائم، ما في ذلك من شك، فالشرق كان ثرياً... لننظر إذن إلى الأشياء كما هي! الحروب الصليبية؟ إنها قرصنة من العيار الثقيل، لا غير! وطبقة النبلاء الألمانية، وهي في الحقيقة طبقة الفيكينك، كانت معها في إطارها [الطبيعي]: والكنيسة كانت تعرف جيداً كيف تدجن النبلاء الألمان.. طبقة النبلاء الألمان.. دائماً سويسريو الكنيسة، التي هي دوماً في خدمة كل غرائز الكنيسة السيئة، لكن بأجر معتبر.. حينما نرى أن الكنيسة، بعون السيوف الألمانية، أي بإراقة الدماء وبرودة أعصاب الألمان، فإننا ندرك أنها قادت حرباً شعواء على كل ما تحمله الأرض من سمّ أرستقراطي! هذا ما يطرح كما من الأسئلة المؤلمة. إن طبقة النبلاء الألمانية تكاد تكون غائبة كلياً عن تاريخ الثقافة العليا. وتلمس علّة ذلك: المسيحية، الكحول - وسيلتنا الفساد الكبريان.. وبالذات، ليس حتى من الضروري الاختيار بين الإسلام والمسيحية ولا أكثر بين عربي ويهودي. فالجواب معروض سلفاً: هنا، لا أحد يمكنه الاختيار بحرية. فإما أن نكون تشندله TCHANDALA [الطبقة السفلى في الهند]، وإما ألا نكون ذلك. «حرب عارمة على روما! سلام وصدقة مع الإسلام». هذا ما شعر به وما فعله هذا العقل الفذ القوي، العبقري الأوحى بين الأباطرة الألمان، فريدريك الثاني. إيه؟ هل يلزم أن يكون ألماني عبقرياً وعقلاً قوياً حتى يحس على نحو مهذب. إني لا أفهم كيف أن ألماناً واحداً استطاع يوماً أن يشذ عن إحساسه بصفته مسيحياً...»

الإسلام لكونه الدين الوحيد الملائم للحياة لأنه دين الحياة ولأن المسلمين رجال أحبوا الحياة وعمروها وفق نداء القرآن، لأجل هذا قال إقبال عن نيشة: «لقد أعمد خنجره في صدر الغرب المسيحي وبنى أصنامه على أسس الإسلام فقلبه مؤمن وإن كان عقله منكرا». إن أقول الأصنام هو نداء إقبال وصوته الذي أعلنه في هذا العصر تعبيراً منه عن الوهن والضعف الذي أصاب المسلمين. يقول:

تعمر الكعبة من أصنامنا	يضحك الكفر على إسلامنا
شيخنا باع الدمى ملته	جاعلا زناره سبحته
شيخ الشيخ بياض الشعر	وهو للأطفال مثل السخر
قلبه بيت لأصنام هواه	فهو صفر مقفر من لا إله
يلبس الخرقة من يرخي الشعر	أه للتاجر بالدين اتجر
بمريديه أدام السفرا	في هدى امته ما فكرا
أعين عمي حكاها النرجس	وصدور من قلوب تفلس
عبد الأشياخ فينا المنصب	حرمة الأمة منهم تذهب
واعظ عيناه شطر الوثن	وفتاوى تُشترى بالثمن
وجهه للحن ولّى شيخنا	يا رفاقي بعد ما تدبيرنا ⁽¹⁾

في وضع مأساوي فقد فيه الإسلام قوته بفساد من يقوم عليه لم يعد للمسلمين حياة إلا إذا استعادوا جذوة الإسلام الأولى الذي أنزل علينا القرآن لنحيا وليس لنشقى. وأولى المهام العاجلة تتمثل في كسر الأصنام التي بناها المسلمون جهلا بقرآنهم وطمعا في مكاسب الدنيا. فهم وإن حافظوا علة

(1) إقبال ص 173

وجه السلوك والعبادة فإنهم خسروا جوهر هذا السلوك وروحه فلم يعد للدين إلا حضور المؤسسة وهو ما جعله يخرج من قلوب المؤمنين به لأن الإسلام دين العقل والقلب ولا يمكن ان يكون دين المؤسسة فالتاريخ علمنا ان مؤسسة الكنيسة التي يحكمها رجا الدين هم الذين قتلوا المسيحية والمسلمون اليوم بكهنتهم يريدون قتل الإسلام من خلال المؤسسات التي صنعوها ادعاء منهم للدفاع عنه وعن شرائعه بينما هي في الأصل للدفاع عن انفسهم وسلطانهم. لأجل هذا يبحث إقبال عن صورة الإنسان الخليفة الذي يحمل الأمانة حقا أمانة الحياة ولنكون جديرين بها ستتجاوز الصنمية تجاوزا نهائيا.

عبد الإنسان أصنام البشر فهو في في عدم وذل محتقر⁽¹⁾

العبادة الحققة: يرى إقبال ان تجديد الدين يستدعي ضرورة تجديد علاقتنا بالله الواحد باعتباره الخالق الذي وضع فينا سر حبنا له ودون هذا الحب لا يمكن أن نعرفه حق المعرفة وإن عرفنا رسمه، وهذا الحب يستقيم مع أعمال العقل وقوانينه المنطقية لأن العقل الحق ليس آلة حاسبة صرفة وإنما العقل حياة أيضا أي يعالج مسائله على نحو رياضي منطقي من خلال إنشاء مفاهيمه وقضاياها مثل إنشائه للمكان والزمان لأجل هذا اعتبر إقبال العقل ذاتا صغرى قبالة الله باعتباره الذات الكبرى وهذه العلاقة تجعل معرفة الله عقلا أمر ممكنا يستجيب لجوهر العقل نفسه وتجعل حبه أمرا ميسورا باعتبار ان الحب ليس إلا عشق للأصل وسعي إليه وتلك هي جوهر العبادة التي تجسمها الصلاة بما العبادة الكبرى التي شرعها الله لعباده « أما العبادة في حالة وعي الصوفي فهي في معظمها تتصل

بالمعرفة. وهذه الناحية المعرفية هي التي سأحاول الكشف عن معنى الصلاة عن طريقها، ووجهة النظر هذه مبررة تمام التبرير بالنظر إلى الباعث الأصلي على العبادة⁽¹⁾.

إذا نجحنا في إعادة بناء العقل الإنساني من جديد من خلال تخليصه من أوثانه الداخلية والخارجية من جهة ومن السلطات التي تعيقه وتخونه من جهة أخرى، إعادة بناء العقل الإنساني عملية عقلية تاريخية جد مهمة خاصة وأنا نملك اليوم الوسائل المعرفية العلمية والفلسفية الكفيلة بتحقيق ذلك. فالعقل الغربي وثن والعقول السائدة في العالم الإسلامي أوثان أيضا، وتبعية العقول الإسلامية لأفكار للعالم الغربي خضوع للسلطان يعيق المعرفة والمعنى ومحاربة العقل الغربي والقطع معه هروب وفشل يعكس قوة سطو هذا العقل الذي لم يقدر المسلمون على مواجهته ومقاومته. إن المسلمين في وضع حرج جدا أمام أنفسهم وامام الآخر الغربي المحيط به. والسبيل الذي اختاره إقبال لتجديد الدين وإعادة بناء نهضة الإسلام نلخصه في النقاط التالية:

- محاورة العقل الغربي محاورة فلسفية تقوم على الندية وستكون هذه المحاورة من خلال إعادة اكتشاف معنى العقل القرآني أي ممارسة الفكر النقدي بكل معاني النقد المتوفرة: نقد العقل العلمي وهو ما تقوم به الايستيمولوجيا الحديثة التي تجعل من العلم موضوعا له عملية نقدية تواجه مفهوم العقل العلمي ومفهوم المنهج العلمي ومفهوم الحقيقة العلمية، ومن ثم هي عملية نقدية لصورة العالم

(1) التجديد ص 109. يستشهد إقبال هنا بقول لويليام جيمسك «يرجح لدينا أن الناس سيظلون يصلون إلى آخر الزمان، بالرغم مما قد يأتي به العلم من عكس ذلك ، اللهم إلا إذا تغيرت طبيعتهم العقلية إلى حالة ليس لدينا شيء مما نعرفه يهدينا إلى توقعها. والباعث للإنسان على الصلاة نتيجة ضرورة حقيقة هي أن النفس الإنسانية التجريبية وإن كانت في صحيحها نفسا اجتماعية فإنها لا تستطيع ان تعثر على نذرها أي رفيقها الأعظم إلا في عالم مثالي...» نفس المرجع ص: 110.

التي يرسمها العلم المعاصر ومدى استفادة العقل الإسلامي من هذه الصورة ومناقشة وجهتها نظريا وعمليا.

- إحياء الفلسفة بما هي تفلسف وليس بما هي تأريخ للنظريات الفلسفية، وتجنب ما يقوم به أغلب المفكرين العرب والمسلمين من استعادة للمدارس الفلسفية السائدة وتبن لها وتحويلها إلى إيديولوجيا معرفية وأخلاقية وسياسية يسقطونها على الواقع العربي والإسلامي فما يعانيه العالم الإسلامي من هذه الفلسفات والأيديولوجيات اخطر وأبلغ من كل أشكال المعاناة الأخرى لان أفضع أشكال العبودية أن تلغي عقلك وتفكر بعقول الآخرين. ونعني بالتفلسف الاستقلال بالتفكير فالعقل السليم لا يضاد الفطرة البشرية والحكمة تبقى دوما ضالة المؤمن.

- إحياء الذات الإسلامية التي صنعت مجدها وحضارتها، ويعني بالإحياء استعادة الذات الإسلامية فاعليتها في الوجود ودورها في الاستخلاف الذي قرره القرآن الكريم.

«الصين لنا والعرب لنا والهند لنا والكل لنا

أضحى الإسلام لنا دينا وجميع الأكوان لنا وطنا

توحيد الله لنا نور أعددنا الروح له سكنا»⁽¹⁾

وقد برهنت هذه الذات في تاريخها الأول على قوتها في قيادة العالم وصناعة المعرفة وما المدارس الكلامية والفلسفية والصوفية إلى جانب البناءات العلمية والنظريات التي قالها علماء الإسلام إلا مظهرا لقوة الذات الإسلامية. واليوم من واجب المسلمين التعرف على هذه الذات من جديد ولكن ليس لغحيائها فينا لتفكر عوضا عنا وإنما لنستأنف معها وبها التفكير من جديد، فالمعارف والفلسفات

(1) إقبال النشيد الإسلامي ص. 91.

اليوم اتت بالجديد الذي يسمح لعقولنا ببناء صروح فكرية جديدة مغايرة. وهذا ما نراه جليا في استعمال إقبال للمرجعيات الفلسفية والكلامية والصوفية الإسلامية لما حاورها ونقدتها واستعمل منها ما رآه موافقا للعقل السليم واستبعد منها ما رآه مناهضا له. ولم يخف إقبال إعجابه بموقف النظام والغزالي وابن عربي والرومي والأشاعرة وغيرهم، ولم يتوقف الأمر في حدود الإعجاب وإنما استحضروهم ليفكر معهم فهم الرواد الذين عاشوا مع القرآن وبه وبنوا صروحهم العلمية والفلسفية وكشفوا عن روائع الروح الإسلامية الخالدة.

- قيمة العلم: ويعني به السيطرة على وسائل القوى المادية فالعلم هو العقل القادر على تفسير العالم والسيطرة عليه لأن السيطرة المادية هي أولى مظاهر القوة وقد أفرز عصرنا نظريات علمية عديدة وثورات تكنولوجية لا تزال آثارها قائمة وتطورها مستمرا وما على المسلمين ووفق نظرية الاستخلاف إلا تحقيق هذه القوة المادية الخارقة والتحكم فيها فعليا وليس مستهلكين لبعض مظاهرها غير عارفين بأسرارها. فالعلوم بكل تخصصاتها شرط غمكان القوة المادية وشرط إمكان التحرر منها أيضا. غير أن إقبال مدرك تماما طبيعة هذه القوة المادية ولا محدوديتها وطبيعة آثارها على حياة الإنسان. لهذا السبب ينادي إقبال بضرورة توفير عنصر آخر أكثر أهمية من قوة العلم الخارقة نفسها.

- قيمة الروح: ويعني بها قوة السيطرة على قوى العلم وكل القوى المادية التي يخلقها الإنسان ويسخرها لنفسه. وفي هذا المعنى يستدعي إقبال أعمال برغسون الذي يرى أن الميكانيكا تستدعي التصوف وأن الجسد الذي تضخم بسبب تضخم الآلات والعلوم بحاجة إلى قوة أكبر هي قوة الروح التي تستمدّها من مبدأ التسامح والسمو الروحي والدخول في صلة خاصة مع الزمن الممتد الذي يتجاوز الآتات الزمنية الحسابية التي تحكم حياتنا المادية فالديمومة البرغسونية قريبة جدا من فهم إقبال للزمان الذي يفتح على التجربة الروحية التي تفتح امام العقل قدرا أخرى لم يكن قادرا على تصورهما عندما يكون متصلا بعالمه أي العالم المادي.

وإذا كانت الحضارة هي ما به يسمو الإنسان فوق المرتبة الحيوانية حسب تعريف فرويد⁽¹⁾ فإن سيورورتها المعاصرة أدت إلى مشاكل حادة ذلك أن تقدمنا في الحضارة المادية هو الذي زاد في حدة المشاكل الاجتماعية والسياسية على نحو مدمر. فالمشاكل الاجتماعية الحديثة تزج بنا في صراع طبقي يهز العلاقات الاقتصادية والقومية ويزعزع أركانها...⁽²⁾ إن هذه الحضارة التي صنعت الإنسان الحديث والمعاصر ضخمت جسده حيث أفرط في البدانة وبقيت فيه الروح على حالها فغدت من الضلالة بحيث لا تستطيع أن تملأه وأصبحت من الضعف بحيث لا تملك أن توجهه وهذا ما يفسر الفجوة التي حدثت بينهما وهو ما يفسر المشاكل الاجتماعية والسياسية والدولية الخطيرة التي هي جميعا تعريفات لهذه الفجوة وهذه المشاكل بسعيها تملأ هذه الفجوة تثير اليوم جهودا عظمية تسير على غير نظام وتذهب سدى إن ما تحتاجه ها هنا هو ذخائر جديدة لطاقة كامنة ينبغي أن تكون أخلاقية

هذه المرة.... إن الجسد حين يتضخم يتطلب مزيدا من الروح وإن الميكانيكا تقتضي التصوف.... ولن تسترد هذه الميكانيكا وجهتها التي زادت من انحائها إلى الأرض أن تنهض بواسطتها وأن ترده إلى السماء⁽³⁾. إن هذه الإنجازات المادية إذن ليست حضارة ولكنها «لا تصبح حضارة إلا بمقدار ما تستطيع عقلية الشعوب المتقدمة أن توجهها وجهة كمال افراد والجماعة، وتبعا لهذا فحين كان من الضروري أن يكون العنصر الروحي في الحضارة قائما بكل قوته سمحنا له بالذبول والضياع»⁽⁴⁾. إن الحالة الراهنة للحضارة أصبحت موضع انتقاد الفلاسفة والمفكرين بمختلف تياراتهم فماركوز يعتقد

(1) راجع كتاب قلق في الحضارة لفرويد دار الطليعة للدراسات والنشر . بيروت

(2) فلسفة الحضارة: ألبرت اشفيتسر ترجمة د. عبد الرحمان بدوي ص 110

(3) برغسون . منبع الأخلاق والدين الفصل الرابع. PUF

(4) فلسفة الحضارة ص 111

«أن الخلفية التكنولوجية خلفية سياسية بحكم أن تحويل الطبيعة يفضي إلى تحويل الإنسان وبحكم أن إبداعات الإنسان تتأتى من مجموع اجتماعي وتعود إليه ويمكن أن نقول دوماً إن الطابع الآلي للعالم التكنولوجي لا يحفل في حد ذاته بالغايات السياسية فإمكانه أن يدخل ثورة على مجتمع أو أن يكون سبباً في تأخره»⁽¹⁾

ولذلك فإن موقع الإنسان في هذا العالم أصبح واقعا تحت سلطة المؤسسات والعلاقات «فإن الجسد لا يصبح قوة نافعة إلا إذا كان جسداً منتجا وجسداً مستبعدا في آن واحد»⁽²⁾ أي خاضعا للسلطة التي بيدها أدوات السيطرة والتي يسميها فوكو بالتكنولوجيا السياسية للجسد.

إن حد الإنسان لم يعد هو النطق وأن كل قيم الإنسان تردّ في آخر المطاف إلى العنصر المادي. ليس ذكر النماذج من الفلسفة الغربية المعاصرة يعكس بوضوح قيمة الإنسان ومنزلته غير أن الوعي بسلبية هذه القيمة حاضر أيضاً وعمق هذا الوعي يتأكد شيئاً فشيئاً ولكنه ما زال دون القوة الكافية التي تمكنه من التغلب على المعنى السائد وذلك لأنه لم يستطع بعد بناء نظرية كونية جديدة صلبة. إن الحل الملائم الذي يسعى الفكر الغربي المعاصر إلى وضعه إرسائه يعبر عنه صاحب فلسفة الحضارة بقوله: «إن الأخلاق التي ترضي الفكر لا بد لها أن تولد من التصوف، وكل فلسفة عميقة وكل دين عميق هما في النهاية كفاح من أجل التصوف الأخلاقي والأخلاق الصوفية، ونحن معشر الغربيين وقد شغلنا بالجهود لتأمين نظرة أخلاقية فعالة في العالم والحياة لا نمكن التصوف من بلوغ أهدافه إنه يعيش بيننا عيشة منزوية ومتقطعة ونشعر فريزيا أنه في تعارض مع الأخلاق الفعالة ولهذا فإنه ليست لنا أية علاقة

(1) هاربارت ماركوز: الإنسان ذو البعد الواحد. 169-177 ED. DE MINUIT

(2) ميشال فوكو المراقبة والعقاب ص 30 طبعة قاليمار

باطنية به، وغلطتنا الكبرى مع ذلك، هي أن نعتقد أننا نستطيع بدون التصوف أن نصل إلى نظرة للكون والحياة الأخلاقية للفكر ترضي الفكر... وقد آن الأوان أن نتخلص من هذه الغلطة والعمق والرسوم في التفكير لا يأتیان النظرة في الحياة والعالم الخاصة بالأخلاق الفعالة إلا إذا انبثقت هذه النظرة من التصوف.⁽¹⁾ هكذا يهتدي الفكر الغربي المعاصر إلى التصوف حتى يعيد نظرتة إلى العالم والحياة . وإذا كان عصرنا يستدعي التصوف حسب عبارة برغسون فذلك لأن هيمنة العقل بما هو أداة نفوذ وسيطرة لا يمكن أن تصنع الإنسان المطمئن إنما تصنع فقط الإنسان القلق الذي يرى الوجود يبعث على الغثيان حسب عبارة سارتر. إن العقل إذن يجب أن يكون قوة إدراك ومعرفة من جهة وقوة عمل من جهة أخرى فيجمع بين الأرض والانعناء والعمل والعلو والشموخ والرفعة والجمال ولا يمكن لأي عقل أن يقوم بهذه المهمة إلا إذا كان عقلا مشبعا بالحياة إرادته بيده ماسكا بزمام أمره مسيطرا على الوهم وهذا هو عقل المتصوف أي العقل الكامل الذي يسعى دوما إلى جعل التوازن والاعتدال قائما في ذاته وفي الكون، فإن تضخم الجسد فلا بد من تضخم الروح لحصول الاعتدال وإلا انقلبت الأمور وسقطت القيم وهذا هو عمل التصوف هي أخلاق الحياة وسوء فهم التصوف هو الذي جعل المفكرين ينظرون إليه على انه أخلاق عدمية. إن مثل جسد متضخم بدون روح قوية تصنع الاعتدال مثل تقنية خرجت عن إرادة صانعها وقد بدأ وعي الإنسان الغربي بهذه المسألة يتجذر أكثر فأكثر يقول هيدغر: «إننا نريد أن نصبح أسيادا عليها (أي التقنية) وإرادة السيادة هذه ستصبح أكثر إلحاحا بقدر ما تهدد التقنية أكثر فأكثر بالإفلات من مراقبة الإنسان»⁽²⁾ وبلغه برغسون الذي استفاد منه إقبال كثيرا واستعمل رؤاه :

(1) فلسفة الحضارة ص 371.

(2) هيدغر. مقالات ومحاضرات ص 10-12 طبعة فاليمار 1958

«إن أصول هذه الميكانيكا أكثر تصوفا مما قد يعتقد ولن تستردّ هذه الميكانيكا وجهتها الحقيقية ولن تقدم خدمات تناسب قدرتها إلا إذا استطاعت الإنسانية التي زادت من انحنائها للأرض أن تنهض بواسطتها وان ترنو إلى السماء»⁽¹⁾. إن تأسيس قيمة قيمة أخرى غير قيمة الأنعام هي هدف المفكرين والفلاسفة الغرب، والدعوة الى التصوف التي أشرنا إليها ليست دعوة إلى الموت وإنما هي دعوة إلى الحياة، فالناس ثلاثة أصناف: صنف هم المنهمكون في الدنيا بالالتفات إلى العقبي إلا باللسان وحديث النفس وهم الأكثرون، وقد يموا في كتاب الله عبدة الطاغوت وشر الدواب ونحوها، وصنف مخالف لهم غاية المخالفة اعتكفوا بكل همهم على العقبي ولم يلتفتوا أصلا إلى الدنيا وهم النساك، وصنف ثالث متوسطون وفوا الدارين حقهما وهم الفضلون عند المحققين لأن بهم قوام أسباب الدنيا والآخرة منهم عامة الأنبياء عليهم السلام إذ بعثهم الله عز وجل لإقامة مصالح العباد في المعاش والمعاد»⁽²⁾

إن تحقيق هذا الاعتدال هو جوهر التصوف وهو جوهر الحضارة التي ينادي بها إقبال من خلال نموذجي برغسون والغزالي والرومي. ويلخص إقبال هذا الموقف أولا من خلال موقفه من العقل الغربي السائد وثانيا من خلال دعوته الجديدة وفلسفته البديلة التي لم يوجهها للمسلمين فقط وإنما للعالم بأسره. يقول إقبال:

وعرفت السر في العلم الجديد	قد براني السعي في كل بعيد
قيّم البستان بعد الخبرة	وحباني سر هذي الجنة
يعبد الوثن وفيها يتجر	علم ذا العصر حجاب أكبر

(1) برغسون منبع الأخلاق والدين الفصل الرابع.

(2) أبو حامد الغزالي . ميزان العمل ص. 120.

وله الظاهر سجن مغلق

من حدود الحس لا ينطلق

وضعت في حلقه السيف يده

زلقت رجلاه في سبل الحياة

شعلة كا الطلّ فيه بارده

كشقيق فيه نار هامة

في طلاب الحق تبدو خيبته

من لهيب العشق تخلو فطرته

مبضع العشق لدى العقل شفاء

علل العقل لها العشق دواء

هو محمود لأصنام العقول⁽¹⁾

سجد العالم للعشق الجليل

أما بديله ورسائله للمسلمين والعالم توجزها الأبيات التالية من ديوانه:

وليس في بعدنا عن عالم البشر

«الزهد إخضاع هذا الطين والشرر

هذا العذاب عقاب الجبن والخور

فقل لصوفية بالفقر راضية

وقلت أطلب منكم زهد مقتدر

وما عليك إذا انكرت مذهبه

أضاع أمجاد تيمورلنك في سمر⁽²⁾

فالزهد والملك لا يستحسنان لمن

ودون شك سيكون الحب جوهر هذا الزهد الذي يغذي الروح ويوجه العقل لكشف عظمة

الإنسان الفعلية والتي بسببها كان جديرا بالاستخلاف.

مؤمن في الجحود جد عريق

مؤمن لا يكون للحب أهلا

قاده الحب مرغما لطريقي⁽³⁾

وإذا الكفر صادف الحب يوما

(1) إقبال ص 172

(2) الديوان ص 439

(3) الديوان ص 433.

وبهذا يوجز إقبال موقفه بقوله: «ما سبق يتبين أنه ليس لدينا أسباب تجعلنا نتقبل المستوى العادي للتجربة الإنسانية باعتباره حقيقة واقعة، ونرفض غيره من المستويات باعتبارها غامضة وعاطفية، فحقائق الرياضة الدينية الحقبة بين غيرها من حقائق التجربة الإنسانية، وكل حقيقة من هذه الحقائق تتساوى مع غيرها في قدرتها على التوصيل إلى المعرفة عن طريق التأويل»⁽¹⁾.

خاتمة:

يظهر لنا مشروع إقبال التجديدي مشروع حياة وقوة بكل وجوها وصورها⁽²⁾. كما يظهر لنا مشروع إقبال بكل عناصرها تتجه وجهة واحدة ألا وهي تمجيد الحياة التي هي في الأصل والغاية تمجيداً لله الحي.

فالتجديد عند إقبال بهذا المعنى تجدد يحيط بالحياة الإنسانية إحاطة كلية سياسية وتشريعية وأخلاقية وعقلية وروحية:

- سياسة تقرر بمدينة الدولة: فالحقيقة «في نظر الإسلام هي بعينها تبدو دينا إذا نظرنا إليها من ناحية وتبدو دولة إذا نظرنا إليها من ناحية أخرى. وليس صحيحاً أن يقال إن الدين والدولة جانبان أو وجهان لشيء واحد، فالإسلام حقيقة مفردة لا تقبل التبديل وهو يبدو في صورة أو أخرى بحسب اختلاف نظرك إليه»⁽³⁾. لا بد إذن من تأسيس دولة مدنية وهي نفسها الدولة الإسلامية لأن الإسلام لا تعني إلا المدنية ولا يمكن وصفها بالتيوقراطية. والدولة المدنية لا تقوم إلا على مبدأ التوحيد «وروح

(1) تجديد التفكير الديني ص 26.

(2) يقول إقبال: «فالقوة الفعالة الوحيدة التي تقاوم قوى الانحلال في شعب من الشعوب هي تنشئة أفراد ذوي فردية قوية. ومثل هؤلاء الأفراد هم وحدهم الذين تتجلى فيهم أعماق الحياة» (تجديد التفكير الديني ص: 179)

(3) نفس المرجع ص 182

التوحيد بوصفه فكرة قابلة للتنفيذ هو المساواة والاتحاد والحرية والدولة في نظر الإسلام هي محاولة تبذل بقصد تحويل هذه المبادئ المثالية إلى قوى مكانية زمانية... فالحقيقة القصوى في نظر القرآن روحية وجودها يتحقق في نشاطها الدنيوي»⁽¹⁾.

- تراث يؤمن بتاريخ الفكرة: لا تجديد دون النظر في التراث والاجتهادات التي عرفها المسلمون القدامى، وسيكون النظر إلى التراث نظرة تاريخية تقرر بزمانية النظر والاجتهاد والعمل أي إن المدارس الأولى ضرورية علميا وغير ضرورية فعلا واجتهادا لأن تغير التاريخ يفرض علينا إعادة بناء العلم والاجتهاد المطلق «ولهذا فإن تبجيل التاريخ الماضي تبجيلا زائفا وبعثه المصطنع ليس علاجا لانحلال شعب من الشعوب وقد احسن كاتب من المحدثين تصوير ذلك فقال: «إن حكم التاريخ هو أن الأفكار البالية لم تقم لها قائمة ابدا بين قوم بليت على أيديهم»⁽²⁾.

- النهضة الروحية: ويعني بها النظر إلى الحياة المادية نظرة مغايرة تغادر التصور المادي الذي أقصى الحياة وأفسدها لأن «الحق هو أن المادة هي الروح مضافة إلى الزمان المكاني. والوحدة التي نسميها الإنسان هي جسم إذا نظرت إلى عملها بالنسبة لما نسميه بالعلم الخارجي، وهي عقل أو نفس إذا نظرت إلى عملها باعتبار ما له من غاية، وإلى المثل الأعلى الذي يستهدفه هذا العمل»⁽³⁾ وسيكون التصوف هو المعبر الوحيد عن هذه الروحية الرائدة والحررة.

(1) نفس المرجع ص 183

(2) نفس المرجع ص 179 . ويواصل في السياق نفسه قوله «وإذا كانت نخضة الإسلام أمرا واقعا وأنا أعتقد أنها أمر واقع، فلا بد لنا من ان نفعل يوما ما فعله الترك فنعيد النظر في تراثنا العقلي». ص 181.

(3) نفس المرجع ص 183.

- شريعة متطورة: لبناء سياسة إسلامية أي سياسة مدنية لا بد من بناء الأسرة من جديد فالأسرة هي أساس الأمة والدولة، وما دمنا لا ندرك حقيقة شأن المرأة فإن حياتنا القومية تظل ناقصة، لأجل هذا لا بد أن تكون الشريعة قائمة على الاجتهاد المفتوح والمطلق، شريعة تعيد النظر في القرآن وتوجه انتباهها إلى العصر الذي تطورت معارفه وتغيرت علاقاته. وبما أن الإسلام دين الحياة فإن مصدر قوته هو القرآن وليس ما اصطلاح عليه علماء الأصول منقرآن وسنة وقياس وإجماع لأنها أولا ليست محل إجماع عقول المسلمين وليست مناسبة لهذا العصر المغاير وجواب إقبال صريح في ما إذا كانت الشريعة الإسلامية قابلة للتطور «هو سؤال تحتاج الإجابة عنه إلى جهد عظيم. ومن المؤكد أن يكون الجواب عنه بالإيجاب، على شرط أن يواجهه العالم الإسلامي بالروح التي كان يواجه بها عمر مشكلات الدين فهو أول عقل محص مستقل في الإسلام وكان له من الشجاعة الأدبية ما جعله يقول في اللحظات الأخيرة من حياة النبي حسبنا كتاب الله»⁽¹⁾.

إن توفر هذه العناصر هو الذي سيحقق جوهر الإسلام الذي يهدف إلى تحقيق فعلي للحياة الإسلامية، «فإن حرية الفكر الكامنة في الروح الإسلامية لا بد أن تبرز نفسها إلى الوجود على الرغم من تزمّت الفقهاء»⁽²⁾. ويلخص إقبال خاتمة موقفه الذي يعبر فيه عن فلسفته الإسلامية بما هي فلسفة الحياة الفعلية والواقعية تضمن لمعتنيها أي المسلمين خاصة والبشرية عامة القوة الفعلية الضامنة لكرامة البشر وفاعليتهم في الوجود. يقول: «إن الإنسانية تحتاج اليوم إلى ثلاثة أمور: تأويل الكون تأويلا روحيا، وتحرير روح الفرد، ووضع مبادئ أساسية ذات أهمية عالمية توجه تطور المجتمع الإنساني

(1) نفس المرجع ص192.

(2) نفس المرجع ص194.

على أساس روحي. ولا شك في أن أوروبا في العصر الحديث قد أقامت نظاماً مثالية على هذا الأساس، ولكن التجربة بينت أن الحقيقة التي يكشفها العقل المحض لا قدرة لها على إشعال جذوة الإيمان القوي الصادق، تلك الجذوة التي يستطيع الدين وحده أن يشعلها⁽¹⁾. وهكذا صار جلياً أن الفكرة الحاكمة في مشروع إقبال هي فكرة الحياة لأنها وحدها تضمن للمسلم حضوره القوي في العالم لأن المؤمن القوي أفضل من المؤمن الضعيف ولأن هذه القوة ليست قوة الجسد الغاشمة وإنما قوة الروح التي تضيف للجسد قوة نوعية تزيد غنسانية وتجعله متناغماً أكثر مع الوجود الفعلي «وعلى المسلم أن يعيد بناء حياته الاجتماعية على ضوء المبادئ النهائية وإن يستنبط من أهداف الإسلام التي لم تنكشف بعد إلا تكشفاً جزئياً تلك الديمقراطية الروحية التي هي منتهى الإسلام ومقصده»⁽²⁾.

إن الدين في جوهره حال من أحوال الحياة الواقعية، فهو الطريقة الجدية الوحيدة للبحث في الحقيقة، وهو وحده القادر على إعداد الإنسان اليوم إعداداً خلقياً يؤهله لتحمل التبعة العظمى التي لا بد من أن يتمخض عنها تقدم العلم الحديث وأن يرد إليه تلك النزعة من الإيمان التي تجعله قادراً على الفوز بشخصيته في الحياة الدنيا والاحتفاظ بها في دار البقاء؟

(1) نفس المرجع ص212.

(2) نفس المرجع ص213.

قائمة المصادر والمراجع

1. ديوان محمد إقبال ج 1 إعداد سيد عبد الماجد الغوري. دار ابن كثير دمشق - بيروت الطبعة الثالثة 2007.
2. ديوان محمد إقبال ج 2 إعداد سيد عبد الماجد الغوري دار ابن كثير دمشق - بيروت الطبعة الثالثة 2007
3. تجديد التفكير الديني في الإسلام. ترجمة عباس محمود العقاد. دار الهداية للطباعة والنشر والتوزيع. الطبعة الثانية سنة 2000.
4. الغزالي (أبو حامد) ميزان العمل: دار الكتاب العربي 1983 بيروت.
5. اسفيتسر (ألبرت): فلسفة الحضارة ترجمة عن الألمانية عبد الرحمان بدوي. دار الأندلس. طبعة ثانية 1980
6. برغسون (هنري): منبع الأخلاق والدين: تعريب سامي درويش وعبد الله عبد الدائم، الطبعة الثانية كانون الثاني (يناير) 1984 دار العلم للملايين بيروت لبنان.
7. فرويد (سيغموند): القلق في الحضارة: ترجمة جورج طرابيشي. دار الطليعة بيروت
8. FOUCAULT (M) : Surveiller et punir. Gallimard 1976
9. HEIDEGGER (M) : Essais et conférences : Gallimard 1958
10. HUSSERL € : La crise des sciences Européennes et la phénoménologie transcendante : Gallimard 1976.
11. MARCUSE (H): L Homme unidimensionnel: Seuil 1970. □

